جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 30. العدد. 03. السنة. 2026.
مجلة المعيار
EL MIEYAR

الدرس الصوتي عند الجاحظ وتروبتسكوي

The phonetic lesson according to AL-Jahiz and Trubetskoy

حميدة قادوم [1]
Hamida.gadoum@univ-emir.dz

سعاد حميتي [2]
s.hemiti@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: 2026/03/25 تاريخ النشر: 2026/06/11
Received: 25/03/2026 published: 11/06/2026

ملخص المقال:

تنبه الجاحظ إلى دور عيوب النّطق في تشويه إخراج الأصوات كما ركّز من جهة أخرى على التّأليف والتّقطيع ليعبّر عن القدرة في معاينة اللّغة وهذا ما يضاهي ويقارب ما جاء به تروبتسكوي في نظرية الفونيم من خلال تعريفه للفونيم وأنواع الفونيمات والتّركيب الوظيفي لها، فماهي يا ترى أوجه التّقارب والموازنة بين ما جاء به الجاحظ في الدّرس الصوتي وما جاء به تروبتسكوي في المقابل؟ كيف حلّل لنا الجاحظ الصوت ودور الجهاز الصوتي في سلامة المعنى؟ ماهي الوظيفة التّمييزية للفونيم عند تروبتسكوي؟

كلمات مفتاحية: الصوت، المخرج، الجهاز النّطقي، التّأليف، التّقطيع، الفونيم.

Abstract:

*Al-Jahiz also noticed the role of speech defects in distorting the production of sounds. He also focused, on the other hand, on composition and segmentation to express the ability to observe the language, and this parallels and approximates what **Trubetskoy** presented in the phoneme theory, through his definition of the phoneme, its types, and its functional structure. So, what are the aspects of similarity and comparison between what Al-Jahiz presented in the phonetic study and what Trubetskoy presented in return? How did Al-Jahiz analyze sound and the role of the speech apparatus in the correctness of meaning? What is the distinctive function of the phoneme according to Trubetskoy?*

Keywords: *sound؛ articulation point؛ speech apparatus؛ composition.*

(1) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة(الجزائر)
(2) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة(الجزائر)

مقدمة:

تطرق علماء العرب القدامى إلى العديد من القضايا اللسانية، فظهرت الدراسات اللغوية عندهم منذ القرن الثاني للهجرة، وباعتبار الدرس الصوتي جزءا من علوم اللغة وجب الاهتمام به إذ كان في البداية مرتبطا بالنّص القرآني وبعدها انتقل إلى اللّغة فاهتم به آنذاك علماء اللّغة كالخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وابن جني وغيرهم، وكان للجاحظ دور كبير في الدّرس الصوتي العربي؛ إذ كانت آراؤه من واقع ملاحظاته الشخصية فعرّف لنا الصوت والمخرج ودور اللّسان في النّطق ... كما تنبه إلى عيوب النّطق في تشويه إخراج الأصوات هذا من جهة، وركّز من جهة أخرى على التّأليف والتّقطيع ليّعبر عن القدرة في معاينة اللّغة وهذا ما يضاهي ما جاء به تروبتسكوي في نظرية الفونيم من خلال تعريفه للفونيم وأنواع الفونيمات والتّركيب الوظيفي لها، فماهي يا ترى أوجه التّقارب والموازنة بين ما جاء به الجاحظ في الدّرس الصوتي وما جاء به تروبتسكوي في المقابل ؟ كيف حلّل لنا الجاحظ الصوت ودور الجهاز الصوتي في سلامة المعنى؟ ماهي الوظيفة التمييزية للفونيم عند تروبتسكوي؟

انطلاقا من الإشكالية السابقة، تسعى هذه الدراسة إلى البحث عن جهود الجاحظ في الدرس اللساني الحديث بتتبع أرائه في الظاهرة الصوتية ومقارنتها بما جاء به تروبتسكوي وذلك وفق موازنة لسانية بإمكانها أن تكشف عن أوجه التّقارب والاختلاف هذا من جهة، كما تسعى الدراسة من جهة أخرى إلى ضرورة التّطرق إلى التّأصيل للدّرس الصوتي عند العرب ومقارنته بما جاء في الدّرس الصوتي عند الغرب. ومن أهم المحاور التي تركز عليها هذه الدراسة: **المحور الأول** ويشمل: الظاهرة الصوتية عند الجاحظ؛ كالصوت، ومخارج الأصوات، وتنافر الألفاظ والحروف، والجهاز النطقي، والتأليف الصوتي.

والمحور الثاني فيركز على الفونيم والتحليل الصوتي عند تروبتسكوي. أما **المحور الأخير** فيركز على أوجه التّداخل والاختلاف بين الجاحظ وتروبتسكوي.

1-التأصيل للدرس الصوتي عند العرب:

إنّ اللّغة في أصلها أصوات تستعمل لأجل التّعبير عن الأغراض والمقاصد، وهذا ما أكده ابن جني بقوله (ابن جني، صفحة 486): "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" وذلك لأجل إنشاء التفاعل بين أفراد المجتمع من خلال وظيفة تواصلية عبر مفاهيم صوتية، ونجد ابن خلدون من جهته يعبر قائلا (ابن خلدون، 1984): "اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل اللسان ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم " وبذلك تكون اللغة هي المعبرة عن المقاصد من خلال أصواتها وعباراتها.

والواضح أن الدرس الصوتي لم يظهر كعلم مستقل قائم بذاته منذ القدم، غير أن مباحثه كانت منتشرة في ثنايا علوم كثيرة، خاصة علوم الفقه و التّجويد، إذ اهتموا بكيفية نطق الأصوات اللغوية ومخارجها وذلك لأجل صيانة اللغة عموما والقرآن الكريم خصوصا، بعد ذلك انتقلت الدراسة الصوتية إلى العلوم اللغوية فظهرت عند العرب منذ القرن الثاني للهجرة، فكان الدرس الصوتي جزءا منها فارتبط في البداية بالنص القرآني وظهر ذلك من خلال التجويد ثم انتقل إلى اللغة فاهتم به علماء لغويين كأبي الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) مخترع نقط الأعجام التي وضعها على أحرف القرآن الكريم لقوله (أبو عمرو الداني، 1960، صفحة 4) "خذ المصحف وصبغا يخالف لون

المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فانقط بين يدي الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله ، فإذا اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين " فكان له فضل السبق في نقط القرآن الكريم . أما الخليل ابن أحمد الفراهيدي، فكان أول مخترع لعدة علوم عربية كالعروض والمعجم والموسيقى ... وله عمل صوتي وهو معجم العين الذي رتب فيه الوحدات المعجمية حسب خطة صوتية وذلك بحسب تدرج الأصوات في الجهاز النطقي فتذوق الأصوات ورتبها كالآتي (الخليل بن أحمد، 1967، صفحة 65): " ع، ح، خ، غ، ج، ش، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، أ، ي، الهمزة...." فكان ترتيبه للأصوات انطلاقا من الأعمق مخرجا وهو الحلق ثم التدرج وصولا إلى أعلى مخرج وهو الشفتان، فظهرت بذلك الأصوات الحلقية والشفوية والأسنانية ، بعدها قام بإجراء تعديلات على ما جاء به أبو الأسود الدؤلي وذكره الداني في مؤلفه (أبو عمرو الداني، 1960، صفحة 6)" إذ جعل الضمة واوا صغيرة تكتب فوق الحرف، و الفتحة ألفا صغيرة مبطوحة فوق الحرف، و الكسرة ياء صغيرة تكتب تحت الحرف، فهذه الحركات القصيرة الثلاث مأخوذة من صور حروف المد الثلاث، ثم جعل للشدة علامة رأس الشين، وللسكون علامة رأس الخاء وعلامة للمد وعلامة للإشمام، وقد زاد على هذه العلامات من التحسين ما جعلها على حالتها التي نراها عليها" .

وظهر بعده تلميذه سيبويه، والذي رتب الأصوات فيزيولوجيا أي بالنظر في أعضاء النطق ومخارج الأصوات اللغوية: ومخارج الأصوات مجملها ستة عشرة مخرجا ، يليه ابن جني متحدثا عن الجهاز النطقي وقال فيه (ابن جني، 1993، صفحة 3): "وقد شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملسا ساذجا ..." ، كما لا ننسى ابن سينا والذي تعددت مباحثه حول الصوت وأبرزها كيفية حدوث الصوت قائلا (ابن سينا، 1983، الصفحات 56-57): " أظن أن الصوت سببه القريب ، تموج الهواء ودفعه بسرعة وبقوة من أي سبب كان ... " ، وممّا يدخل في هذا الباب أيضا شروح سيبويه المختلفة و في مقدمتها شرح السيرافي (ت 368 هـ) ، والرماني (ت 384 هـ) والأعلم الشنتوري (ت 476 هـ)، وشرح أبي علي الفارسي (ت 377 هـ)، وبعدها كتاب المفصل للزمخشري (ت 538 هـ) الذي مزج على منوال سيبويه، وختم بباب حول الإدغام وذلك بذكر الحروف العربية ومخارجها وصيفاتها وهي المادة التي اعتمدها ابن يعيش (ت 643 هـ) في شرحه الغني بالدراسة الصوتية. كما لا ننسى كتاب الأصوات للنحوي قطرب (ت 206هـ) وهو تلميذ سيبويه، وكتاب الأصوات للأخفش (ت 215 هـ) ، وكتاب الصوت والبحة ليحي ابن ماساويه، وكتاب **الصوت** لجالينوس....ولكن الذي أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل و نظر إليها على أنها علم قائم بذاته هو ابن جني (ت 392هـ) في كتابه سر صناعة الإعراب، والذي بسط فيه الكلام على حروف العربية ومخارجها وصفاتها و أحوالها ، و ما يعرض لها من تغيير. يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام، و الفرق بين الحرف والحركة فهو بحق رائد الدراسات الصرفية، إذ يقول (ابن جني، 1993، صفحة 7): " ما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الإشباع ومن وجد قولا قاله ، والله يعين على الصواب بقدرته"، وهذا ما نجده أيضا في الخصائص والذي تضمن مادة صوتية غنية إذ تحدث عن موضوع طول الحركات والأصوات.

بعدما اختلفت وتعدّدت ألسنة الأعاجم اللذين دخلوا الإسلام أصابها اللحن والتحريف، فذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين أمثلة كثيرة ومتنوعة عن اللحن واللكنات، وقد علّل ذلك تعليلا مبنيا عن الملاحظة اللغوية ومن واقع مجتمعه (الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، 1998، صفحة 67)" اللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها" وكثيرون هم من أرخوا لنشأة الدرس الصوتي عند العرب كالخليل ابن أحمد الفراهيدي وسيبويه وأبو الأسود الدؤلي اللذين قاموا بدراسات شاملة حول كل مستويات اللغة العربية من صوت وصرف دلالة وتركيب ...

لم تقتصر الدراسات الصوتية عند العرب على زاوية واحدة من زوايا الدرس الصوتي وإنما شملت العديد من الجوانب، إذ اهتم العرب بمعرفة تشريح الجهاز النطقي ومخارج الأصوات وصفاتها وهذا على المستوى الفونيتيكي في المقابل اهتموا بالصوت المنظم في التركيب اللغوي الذي يحكم المعنى وهذا على المستوى الفونولوجي، وبذلك فهم لم يعالجوا الأصوات علاجا مستقلا وإنما عالجوه متداخلا مع غيره من العلوم.

2-التأصيل للدرس الصوتي عند الغربيين

كان لعلم القواعد الهندية الفضل في إتاحة الفرصة للأوروبيين حتى يتعرفوا على الوصف الدقيق الشامل للغة من اللغات وصفا مبنيا على الملاحظة والتجربة، إذ ظهرت في الهند دراسات لغوية دقيقة ومنظمة فكانوا أسبق الأمم في ذلك (محمد محمود غالي، 1976، صفحة 89) إذ " تعد المدرسة الهندية أقدم المدارس اللغوية، فقد سبقت المدرسة اليونانية إلى الوجود كما سبقت المدرسة العربية ... فقد شملت بالدراسات اللغوية واللسانية كوسيلة لحفظ تراثها الديني، ولم يكن اشتغالها بالدّراسات اللسانية وليد ولعها بالدراسات الفكرية الفلسفية كما كان الحال عند اليونان القدماء "، فتميزت الدّراسات الصوتية عند الهنود القدامى بارتباطها بالنحو فجاءت (أحمد مختار عمر، 1988، صفحة 58)" متنوعة و شاملة لمعظم جوانب هذا العلم" ، فدرسوا الصوت المفرد وقسموا الأصوات إلى بسيطة ومركبة وذلك حسب النّوع و إلى حلقية و غارية ولسانية و أسنانية وشفوية و ذلك بحسب المخارج، إضافة إلى تحديد صفات الأصوات (أحمد مختار عمر، 1988، صفحة 49) " حيث توصل الهنود إلى أثر القفل في إنتاج الأصوات الانفجارية والفتح في إنتاج أصوات العلّة كما تحدثوا عن الأصوات الاحتكاكية التي يصحبها تضييق.".

أما اليونانيون فقد تركزت دراساتهم حول الجانب الدلالي أكثر من الجانب الصوتي فمن أهم مباحثهم الصوتية ما نجده من (محمود السعران، 1987، صفحة 87)" أقوال متناثرة في محاورات أفلاطون، وفي الشعر والخطابة لأرسطو..." ، كما قسموا الأصوات إلى صائتة وصامتة إضافة إلى التّمييز بين أنواع الفونيمات (ر.هـ. روبانز، 1990، صفحة 48)حيث "أقام أفلاطون عددا من التمييزيات بين أنواع الفونيمات الجزئية في اللغة اليونانية، واضعا الصوائت في مجموعة تقابل الصوامت ..." و تحدث اليونانيون عن تصنيف الأصوات حسب المخارج وميزوا بين الظواهر الصوتية (محمود جاد الرب، 1985، صفحة 13)"كالنبر و المقطع ودرسوها دراسة دقيقة إلى حد كبير و أدركوا أن المقطع يتكون إما من حركة أو من ساكن و حركة و أشاروا إلى توزيع الحروف و إمكانيات وقوعها في الكلمة".

بدأ البحث اللغوي الجاد في أوروبا في منتصف القرن السابع عشر الميلادي على يد علماء من أمثال واتس وهولدر وجهودهما حول نطق الأصوات ومقارنتها بغيرها إضافة إلى التّمييز بينها مثلا بين الأصوات المجهورة والمهموسة إذ (عبد الفتاح العليم البركاوي، 2002، صفحة 21) "ألف جونز كتابا في الأجرومية الإنجليزية تناول فيه أصوات اللغة من الناحية الفيزيولوجية والتّشريحية واستطاع تحديد الأصوات الصامتة والصائتة، وقد كانت هذه الدراسات فاتحة لدراسات أخرى كثيرة في هذا المجال ". وأما في القرن 18 فقد تطورت الدراسات الصوتية على يد علماء منهم الألماني هلفاج الذي تحدث عن الحركات الأساسية في اللغة الألمانية بعدها يأتي القرن 19 الذي شهد منعطفا كبيرا نحو الدراسات التاريخية والمقارنة (كمال بشر، 2000، صفحة 587)" التي كان لها الأثر العظيم في تقدم الدراسات المقارنة بين عدّة لغات .... مثل اللغات الفصيلة الهندو أوروبية أو الفصيلة السامية ... وأصبحت الدّراسات تخضع للتّجارب المعملية والتّطبيقية المختلفة، فتفوقت بذلك على غيرها من الدراسات اللّغوية الأخرى..."

ومع بداية القرن العشرين عرفت دراسة الصوت باتصالها بعلوم أخرى كالهندسة والطب والرياضيات... إذ تم تحديد بعض المفاهيم التي لم تكن واضحة من قبل فتشعبت الدّراسة الصوتية وتعدّدت فروعها، حتى أصبح كل فرع منها جدير بدراسة مستقلة، فميّز بذلك العلماء بين دراسة الأصوات باعتبارها منطوقة أو تشكيلية واستمرت في مجال الدراسة الصوتية إلى أن ظهر علم الصوتيات التّوليدي الذي يعنى بالبناء التركيبي للغة وكان ذلك على يد كل من تشومسكي وهالي.

3- الظاهرة الصوتية عند الجاحظ:

1.3-الصوت: يعرفه ابن جني (ابن جني، 1993، صفحة 06) بقوله: " الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له الحلق والفم والشفتان، مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا ..." ويقول ابن فارس (ابن فارس، صفحة 319) " (صوت) الصاد والواو والتاء أصل صحيح، وهو الصوت، وهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع، يقال: هذا صوت زيد ...".

فالصوت اللغوي يحدث عندما (أحمد مختار عمر، 1991، صفحة 111) " يستعد الإنسان للكلام العادي، وذلك باستنشاق الهواء حتى يمتلأ الصدر قليلا به، وإذا أخذ في التكلم فإن عضلات البطن تتقلص قبل النطق بأول مقطع صوتي، ثم تتقلص عضلات القفص الصدري بحركات سريعة تدفع الهواء إلى أعلى عبر الأعضاء المنتجة للأصوات، وتواصل عضلات البطن تقلصها في حركة بطنية مضبوطة..."

2.3-الصوت عند الجاحظ:

على الرغم من أن الجاحظ من أصحاب المصنفات الأدبية إلا أنه تفطن وتنبه للصوت اللغوي أو الظاهرة الصوتية، فأشار إلى التبدلات الصوتية التي تعرضت لها اللغة العربية خاصة عند الأعاجم، فأقر بهذا الأمر في كتابيه البيان والتّبيين، والحيوان؛ أي تناول ما يصيب الأصوات من لثغة في الكلام وهو ما يعيق نطق الصوت وسلامة المعنى.

وما تجدر الإشارة إليه أن الجاحظ لم يضع مؤلفا خاصا بالأصوات بل ضمن إسهاماته في مجال الصوت؛ فالصوت عنده (الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، 1998، صفحة 79)" آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منشورا إلا بظهور الصوت..." فقوام اللفظ هو الصوت وكل لفظة تتألف من مجموعة مقاطع، وكل مقطع يتألف من مجموعة حروف وكل حرف عبارة عن صوت، والصوت ينشأ عن حركات اللسان في الفم.

3.3-مخارج الأصوات:

جاء في لسان العرب (ابن منظور، 2005) " الخروج نقيض الدخول، خرج يخرج خروجا ومخرجا، فهو خارج وخروج وخراج، وقد أخرجته وخرج به، يقال خرج مخرجا حسنا، وهذا لمخرجه، وأما المخرج فقد يكون مصدر قولك أخرجه..." ، فمخرج الصوت أي النقطة التي يصدر منها الصوت، فقد استخدمها الخليل ابن أحمد الفراهيدي كمصطلح بارز وظاهر بقوله: (الخليل بن أحمد، 1967، صفحة ص52) " في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف..." فالمخرج عند الخليل هو الموضع الذي يكون فيه اعتراض الهواء الصادر من الرئتين، كما نجد من جهة أخرى ابن يعيش (ابن يعيش، صفحة 125) يتطرق لمصطلح المخرج قائلا : "هو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده..." ، فهو بذلك المكان الذي يتم فيه انحباس الهواء.

وعليه، فقد اهتم الجاحظ بدراسة مخارج الأصوات وعرض ذلك في كتابه (الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، 1998، صفحة 14) قائلا: " ... ولما علم واصل ابن عطاء أنه ألثغ فاحش اللثغ، وأن مخرج ذلك منه شنيع، وأنه إذا كان داعية مقالة، ورئيس نحلة، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل... وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة وإلى تمام الآلة وأحكام الصنعة وإلى سهولة المخرج وجهارة النطق..." فبيان الكلمة متعلق ومرتبط بسلامة المخارج.

***مخرج الضاد:**

بيّن الجاحظ مخرج الضاد من خلال نطق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول (الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، 1998، صفحة 63): " فأما الضاد فليست تخرج إلا من الشدق الأيمن، إلا أن يكون المتكلم أعسر يسرا ... مثل لنطقه قائلا وكذلك الأنفاس مقسومة على المنخارين فحالا يكون في الاسترواح ودفع البخار من الجوف إلى الشق الأيمن وحالا يكون من الشق الأيسر، ولا يجتمعان على ذلك في وقت إلا من يستكره ذلك مستكره، أو يتكلفه متكلف، فأما إذا ترك أنفاسه على سجيتها لم تكن إلا كما قالوا ..."

***تنافر الألفاظ وتنافر الحروف**

تحدّث الجاحظ عن ظاهرة تنافر الحروف أو الأصوات فقال بأن من ألفاظ العرب ما تناثرت أصواته أن الكلمة التي ليس موقعها إلى جانب أختها مرضيا موافقا منسجما كان على اللسان ثقيلا (الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، 1998، صفحة 67)" ... فأجود الشعر مثلا ما تلاحمت أجزاؤه و سهلت مخارجه، فحروف الكلام و أجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملسا ، ولينة المعاطف سهلة، و تراها مختلفة متباينة، و متنافرة مستكرهة تشق على اللسان و تكده، و الأخرى تراها سهلة لينة ورطبة مواتية سلسة النظام خفيفة على اللسان، حتى كان البيت بأسره كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد..." وقد ذكر لنا الجاحظ أمثلة حول تباين الألفاظ و تلاؤم الأجزاء، ومنها قول الشاعر (النميري، 1975، صفحة 131):

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَـــــــا	***	عَشِيَـــــةَ آرَام الكِنَـــــاسِ رميمُ
أَلاَ رُبَّ يَومٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتُهَـــــــا	***	وَلَكِنَ عَهْدِي بِالنِّضَـــــالِ قَدِيمُ
يَرَى النَّاسُ أَنِّيْ قَدْ سَلَوْتُ وَأَنَّنِي	***	لِمَرمِي أَحناءِ الضُلُـــــوعِ سَقِيمُ
رَمِيمُ التِي قَالَتْ لِجَارَاتِ بَيتِهَـــــا	***	ضَمِنْتُ لَكُـــــــمْ أَلّا يَزَالَ يَهِيـمُ

إذ ربط الجاحظ بين البيان و عدم تنافر الألفاظ التي تؤلف الجملة ، فكان ممن اكتفى في الحديث عن تنافر الحروف فقط ونجده من جهة أخرى تحدث عن اقتران الحروف، ففصل في ذلك قائلا: (الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، 1998، صفحة 69)"... إن الجيم لا تقارب الظاء ولا القاف و لا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير..." وهذا بابه كبير، وقد يكتفي بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التي إليها يجري، فنجد أن ما جاء به الجاحظ شبيه بما جاء به الدرس اللساني الحديث في دراسة أصوات اللغة، والذي كان على نمطين، دراسة صوتية نطقية Articulation و التي تتوخى كيفية انتاج أصوات الكلام ووصف مخارج الحروف التي تشكل الصوت اللغوي الصحيح بحيث لا تتناف الحروف لأجل مراعاة سهولة النطق، هذا من جهة و من جهة أخرى دراسة صوتية سمعية Acoustique والتي تعنى بدراسة الخصائص الفيزيائية للصوت اللغوي المنطوق، وهذا ما وجدناه في قول الجاحظ السابق ، فالحروف التي تختلف في السمات الصوتية المؤلفة من حروف متباعدة المخارج مختلفة السمات الصوتية.

4.3الجهاز النطقي عند الجاحظ:

تحدّث الجاحظ عن الجهاز النّطقي وكيفية حدوث عملية النطق إذ يرى أنه لابد من تضافر مجموعة من الأعضاء لحدوث عملية النطق، منها الحنجرة ذلك أن الصوت الجهوري مرتبط برحابة الحنجرة واتساعها، لينتقل بعدها إلى العضو الثاني وهو الحلق بصفته عضوا مهما في جهاز النطق، وذلك لأنه مخرج للعديد من الأصوات اللغوية كالعين، إذ يقول (الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، 1998، صفحة 123...125) : " ... ووقع بين فتى من النصارى و بين ابن فهريز المطران كلام فقال له الفتى : ما ينبغي أن يكون في الأرض رجلا واحدا أسهل منك و كان ابن فهريز في نفسه أكثر الناس علما و أدبا ، فقال للفتى : و كيف حللت عندك هذا المحل ؟ قال بأنك تعلم أنا لا أتخذ الجاثليق إلا مديد القامة و أنت قصير القامة ، و لا نتخذه إلا جهير الصوت جيد الحلق، و أنت دقيق الصوت رديء الحلق... "، فجهارة الصوت مرتبطة بسعة الحلق يليه بعد ذلك الفم، وهو موضع خروج أغلب الأصوات فمن تمتع بسعة الفم كان جهير الصوت، بعدها يأتي اللسان و عدّه الجاحظ أبرز أعضاء النطق ؛ فاللسان رفيق وصديق صاحبه فتمام المعنى من تمام نطق اللسان، ليأتي بعد ذلك دور الأسنان، وهي العضو الموجود في مقدمة فم الإنسان و المتوزعة بين فكيه فذكرها الجاحظ قائلا (الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، 1998، صفحة 59): " ... قال يونس ابن حبيب في تأويله قول الأحنف بن قيس :

أفنّتني التجاربُ فلم تُنقِصْ عظامي * ولا صوتي إذا جَدَّ الخصومُ**

قال: إنما عني بقوله عظامي أسنانه التي في فمه، وهي التي إذا تمت الحروف وإذا نقصت نقصت الحروف .." ، فجهارة الصوت وبيان الكلام يكون بسلامة أعضاء النطق.

5.3–التأليف الصوتي عند الجاحظ:

التأليف هو انقسام الشيء إلى الشيء (ابن فارس، صفحة 131)" ... ألفت الشيء ألفه و الألفة ، مصدر الائتلاف فكل شيء ضممت بعضه إلى بعض لقد ألفته تأليفا" ، فكلمة التأليف استعملت عند اللغويين كابن جني خاصة في كتابه سر صناعة الإعراب، وعند الرماني و غيرهم من اللغويين والنّحاة ، كما استعملها الفلاسفة المسلمون، أما عند الجاحظ فقد استعملها عندما عرف الصوت و أقرّ بأن التأليف الصوتي مرتبط بفصاحة الكلمة، و بنية اللفظ الصوتية (صباغ، صفحة 139) "...فالتّأليف الصوتي مرتبط بفصاحة الكلمة و بنية اللفظ الصوتية و انسجام الحروف المركبة له وتآلفها ذلك أن الفصاحة في الكلام هي خلوصه من ضعف التأليف ويحصل هذا الخلوص بمون الكلام جاريا على القانون المشهور، وخلوصه من تنافر الكلمات، وذلك بأن لا يثقل على السمع، فالفصاحة تورث الكلام حسنا إذ يسهل على اللسان النطق به لتآلفه ..."

لقد كان للجاحظ دور بارز في الدراسات الصوتية وتطورها، فكان اهتمامه واضحا في كيفية حدوث الصوت اللغوي، من خلال دراسة المخارج والصفات إضافة إلى الجهاز النطقي وأعضائه المتنوعة والتي أسهمت في جهارة الصوت وتمام البيان.

4–الفونيم (الصواتة) والتحليل الصوتي عند تروبتسكوي(Nikolay Sergeevitch Trubetskoy)

يعد تروبتسكوي العالم الروسي اللساني (1890–1938) من رواد مدرسة براغ الوظيفية، لقد أحب الدراسات اللغوية منذ أن كان طالبا في قسم اللغة الهندأوروبية في الجامعة التي كان يديرها والده، وهو مؤسس علم الفونولوجيا حيث تقدم بالاشتراك مع جاكبسون وكارسفسكي (Jakobson et Karcevsky) ببرنامج بارز للدراسات الفونولوجية فأصدر كتابه الموسوم بـ(مبادئ الفونولوجيا) و الذي نشر بعد وفاته بقليل (سنة 1939)، فنادى بالمفهوم الوظيفي للغة كما فرق بين مفهومي كل من الفونيتيك (la phonétique) و الفونولوجيا (la

phonologie) أي علم الأصوات وعلم وظائف الأصوات (هلبش، 1970، صفحة 98)" فعلم الأصوات يبحث الائتلاف المادي والشكل الخارجي لكل قطعة من قطع الشطرنج أما علم الفونولوجيا على العكس من ذلك يبحث في القواعد الحقيقية للعبة الشطرنج و قيمة اللعب الوظيفية لكل قطعة من قطع الشطرنج، وبذلك لا تظل الفونولوجيا متمسكة بظاهر الأصوات بل تنفذ إلى جوهرها..." ، فعلم الأصوات هو العلم المحلل و الواصف لأصوات اللغة في حالتاها التجريدية مستقلة عن غيرها و معزولة عن بنيتها اللغوية، على عكس الفونولوجيا فهو المعالج لظواهر الصوتية انطلاقا من وظيفتها داخل البنية اللسانية.

1.4-الفونيم ووظيفته التمييزية عند تروبتسكوي

تحدث العلماء عن الفونيم بوصفه وحدة أساسية يقوم عليها الدرس الفونولوجي، فقد أشار دوسوسير Ferdinand de Saussure إلى ضرورة الاهتمام بالجانب السمعي لأي عملية تلقي الأصوات فأعطاه الجانب الأهم والبارز فبسماع الأصوات نميز بينها، فالفونيم عنده (دوسوسير، 1985، صفحة 101) " مجموعة من الانطباعات السمعية والحركات النطقية للوحدتين الكلامية والسمعية فتشترط إحداهما الأخرى، وهكذا فهي وحدة معقدة متموضعة في إحداهما ..." فالفونيم وحدة تجمع بين الجانب النطقي والسمعي في تكونها.

وقد اختلفت نظرة العلماء حول مفهوم الفونيم ووظيفته، وذلك بحسب زاوية اهتمام كل عالم وباحث، إذ نظرت إليه جماعة براغ و على رأسهم تروبتسكوي على أنه وحدة تمييزية وهو (علام، 2009، صفحة 22،23) " مجموع الصفات الجوهرية فونولوجيا التي تميز تأليفا صوتيا معينا... " ، إذ جعله تروبتسكوي ضمن النظام فالصوت عنده تأدية للفونيم فميز بين أن يكون الحرف فونيما له دور تميزي للمعاني، وبين أن يكون صوتا لا يؤدي تغييره أو استبداله إلى تغيير في المعنى، فالفونيم عنده أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس . فيكون بذلك الفونيم مفهوم لغوي و وظيفي لا يكون تحديده عن طريق الأصوات بل في ضوء الوظيفة التركيبية لأنه صوت غير منطوق وثابت في كل نظام لغوي و عدده محدود عن طريق التبادل (الغامدي، 2001، صفحة 12)"يكون تمييز كلمة عن أخرى وهو الأساس الذي يقوم عليه الفونيم في نظره كما أنه يعتمد الجانبين العضوي والسمعي..." ، فالفونيمات عند تروبتسكوي وحدات تشكيلية يتم تعريفها بتحديد وظيفتها في التركيب كلا على حدة ، إنها (الغامدي، 2001، صفحة 12)" فهو مجموع الصفات ذات الصلة بالموضوع والفونيم فكرة لغوية لا نفسية وهذه النظرية تمنحنا مادة جوهرية لتحليل التراكيب اللغوية و أساسا قويا للكتابة الصوتية..."

لقد اتجه تروبتسكوي إلى المفهوم الوظيفي للفونيم وترك المفهوم النّفسي فوضع بعض القواعد لبيان وظيفة الفونيم (قدور، 2019، صفحة 96)" إذا كان لدينا صوتان في لغة واحدة، وأمكن إبدال أحدهما بالآخر دون اختلاف في المعنى فهما صوتان اختياريان لفونيم واحد، ومن ذلك فونيم الجيم عند المصريين، ومنها نطق إلقاء همزة وكافا وغينا ... إذا أدى إبدال الفونيم بآخر إلى اختلاف في المعنى فالفونيمان ليسا صورتين لفونيم واحد وانما لفونيمين مختلفين ..."

إنّ التّحليل الفونولوجي عند مدرسة براغ يقوم على تتبع الملامح التمييزية، فاهتمامه منصب حول الصفات والسمات التمييزية التي تتميز بها الوحدات الصوتية عن بعضها البعض، وكان مرتبطا بنظام التّقابل الفونولوجي القائم على مستوى المخارج والصفات، إضافة إلى القيمة الإيجابية والقيمة السلبية للفونيم فهما (علام، 2009، صفحة 33)" تحددان مجموع الصفات الذاتية التي تميز كل حرف عن غيره من الحروف، فيكتسب القيمة الأولى بحضور هذه الصفات أو واحد منها على الأقل والقيمة الثانية بغيابها..."

وعليه يصبح الفونيم (عطاوي، 1999، صفحة 6)" الصورة العقلية للصوت أو أفكار صوتية، فلو أخذنا الأمثلة التالية : نحن، ينصهر، انقشع، وطلبنا من المتكلم أن ينطقها فإنه ينطق صورة النون في الأمثل باختلاف، فالنون الأولى أسنانية لثوية ،والنون الثانية تختلف عن الأولى

وتقترب منها وكذلك الثالثة بالرغم من أن هذه النون بالرغم من أن هذه النون هي حرف واحد، فالذي يتحقق في الكلام عند تروبتسكوي ليس الفونيم بل تنوعاته الصوتية أي الألوفونات ..." ، فالألوفون صوت كلامي حقيقي متوزع و متغير بشكل حر، ينطق بصور متعددة ومتغيرة و تغيره لا يغير المعنى.

5-أوجه التّداخل والاختلاف بين الجاحظ وتروبتسكوي: تتركز أوجه التّداخل بين الجاحظ وتروبتسكوي في الدرس الصوتي في التركيز على العلاقة بين الصوت والدلالة والمعنى، حيث يرى كلاهما أنّ الصوت ليس مجرد ظاهرة فيزيائية بل وسيلة لتوصيل المعنى، كما يشتركان في فهم أهمية تقطيع الأصوات والتأليف في تشكيل الكلمة، والجدول التالي يوضح بعض نقاط الاتفاق:

الصوت عند الجاحظ	الصوت عند تروبتسكوي
الصوت لا يكون لفظا إلا بالتقطيع والتأليف	الفونيم وحدة أساسية في الصوت اللغوي تعرف بوظيفتها داخل كل لغة
الصفات الصوتية مثل الجهر والهمس ودورها في وضوح المعنى	الجهر والهمس ودوره في التمييز بين الفونيمات
ظاهرة اللحن في اللغة مثل الأخطاء الصوتية	أهمية الفونيمات بوصفها وحدات تحقق المعنى
الصوت يتحول إلى معنى من خلال التأليف والتقطيع	الصوت يتحول إلى معنى من خلال التأليف والتقطيع
اختلاف الأصوات يؤدي إلى اختلاف في المعنى مثل: «ك، ق» في كلمات مثل كتاب وقطب.	الوظيفة التمييزية التي أكد عليها تروبتسكوي

المصدر: اجتهاد من الباحثتين

هذا عن بعض أوجه التداخل بين ما جاء به الجاحظ وتروبتسكوي في أهمية كل من الصوت والفونيم ودورهما في تحقيق المعنى والدلالة. أما أوجه الاختلاف بينهما فتكمن في المنهجية والمفاهيم الأساسية المعتمدة في دراسة الصوت والوظيفة الصوتية والجدول الآتي يوضح ذلك.

الجاحظ	تروبتسكوي
الصوت ظاهرة طبيعية نطقية مرتبطة بالنطق والحركة المكانية داخل الحلق والفم	الفونيم وحدة صوتية مميزة وظيفيا وتمثيلية داخل نظام لغوي
وصف الصوت من الناحية الفيزيائية والنطقية والجانب الاجتماعي	التركيز على الجانب الوظيفي والتمييز الدلالي للوحدات من الناحية الفلسفية والتمثيلية
يتبع منهجا وصفيا لغويا تقليديا (الوصف المادي للصوت)	يتبع منهجا بنياويا حديثا (وظيفة الصوت في النظام اللغوي)
يعتمد الجاحظ وصف مباشر للحركات والمخرجات الصوتية كما تظهر في الواقع	وصف فونولوجي مجرد قائم على الوظيفة والتمايز داخل النظام الصوتي

المصدر:اجتهاد من الباحثتين

أما عن تحليل الوحدة الصوتية (الفونيم) فقد نحللها كل من الجاحظ و تروبتسكوي بطريقتين مختلفتين:

وحدة صوتية	
الجاحظ	تروبتسكوي
اختيار الصوت	اختيار الفونيم بوصفه كوحدة صوتية مجردة
وصف الصوت	خصائص الفونيم من خلال التضاد مع فونيمات أخرى مثل: د – و – ض–يمكن تبديل ض بدال لتغيير المعنى
صفة الصوت	وظيفة الفونيم في التمييز الدلالي
تأثير الصوت في المعنى والتمييز الدلالي	البعد التجريدي للفونيم كوحدة مستقلة عن النطق العضوي
صعوبة نطق الصوت	الفونيم يظهر كعنصر داخلي للنظام الصوتي وليس فقط صوتا مخرجيا

المصدر: اجتهاد من الباحثتين

إذن الجاحظ يركز على وصف الصوت عضويا وظاهريا من خلال ربطه بالمعنى والدلالة المباشرة، أما تروبتسكوي فتحليله للفونيم كنظام من التّضادات المجردة داخل اللّغة.

إن دراسة النّظام الصوتي في تراثنا اللغوي العربي عند الجاحظ كشف لنا العديد من المفاهيم اللغوية اللسانية، والتي تعد حادثة في نظر علماء اللسانيات بعامة والصوتيات خاصة، وهو يرتبط بظهور علم الفونولوجيا– علم الأصوات الوظيفي– في بداية القرن العشرين، فقد توصّل الجاحظ إلى تحديد مفهوم الصوت ومخرجه وصفاته، كما تطرق إلى الجهاز النطقي ودوره في جهارة الصوت وتحقيق انسجام الكلام وسلامته مع الإشارة إلى التأليف الصوتي وسلامة ذلك بالإشارة إلى تنافر الألفاظ و تنافر الحروف و ما يتركه من عيوب، وموازنة كل ما توصل إليه الجاحظ من دراسته للنظام الصوتي بما جاء به تروبتسكوي من خلال تحديده لنظري الفونيم ودوره في التّحليل الصوتي ، إضافة إلى التّمييز بين الكلمات و أشكالها، فالفونيمات عنده أدوات تشكيلية يتحدد تعريفها من خلال وظيفتها في التركيب إضافة إلى وظيفته التمييزية من خلال التقابل الفونولوجي، كما ميز بين الفونيم والألوفون، فالفونيم تأدية فعلية للصوت من خلال الركيب أما الألوفون فهو صوت حقيقي متوزع ومتغير بشكل حر وتغيره لا يغير المعنى.

كما تجدر الإشارة إلى أن ما جاء به الجاحظ حول اللفظ بصفته مقاطع صوتيه تنتج عنه حروف وأصوات بالتّعبير عن القدرة في معاينة اللغة يوازي أيضا ما جاء به أندريي مارتينيه حول التّلفظ المزدوج أو التّقطيع المزدوج double articulation، والذي يحتاج إلى دراسة معمقة لاكتشاف مدى التّجاور والتّقابل بينهما.

خاتمة:

خلصت الدّراسة إلى محاولة بناء ثنائية لدراسة الصوت من منطلق أنّ دراسة الصوت تنبني على الوظيفة والتأثير وهذا بناء على رؤية كل من الجاحظ وتروبتسكوي. فقد درس الجاحظ الصوت بوصفه ممثلا للتراث اللغوي العربي وتطرق له ضمن قضايا البلاغة والبيان فكانت معالجته للصوت ضمن اللغة في جانبها الخطابي لا كعلم مستقل قائم بذاته، فالصوت عنده مرتبط بالبيان والإفهام بوصفه مجالا للتّعبير عن المعاني. إضافة إلى اهتمامه بالجانب البلاغي وما يتركه من تأثير في نفسية المتلقي فالصوت عنده أداة للتّواصل مرتبطة ارتباطا وثيقا بالجانب

الجمالي فكانت دراسته للصوت مبنية على معايير واضحة قائمة على الملاحظة والتجربة والجانب البلاغي فكانت وظيفة الصوت عنده هي تحقيق الفهم والإفهام وملاحظته وتحليله.

وبناء على الملاحظة المباشرة للظاهرة الصوتية وبطريقة جزئية لا بطريقة نظامية نسقية ربط بين الصوت والمعنى مع الإشارة إلى أنّ أي اختلاف في المعنى يؤدي لا محالة إلى الاختلاف في الفهم.

أما تروبتسكوي بوصفه ممثلا للمدرسة البنيوية الوظيفية والمؤسس الأول لعلم الفونولوجيا فكانت دراسته للصوت على أنه نظام وظيفي داخل النّسق اللغوي إذ ميّز تروبتسكوي بين مصطلحي (الفونيتيك والفينولوجيا)

فالفونيتيك يمثل الجانب الفيزيائي للصوت وفي المقابل تمثل الفونولوجيا الجانب الوظيفي للصوت داخل نسقه اللغوي فاعتمد بذلك على التحليل النّسقي النّظامي للصوت إضافة إلى دراسة العلاقات التي تكون بين الأصوات.

كما سعى إلى تحديد ما يسمى بنظام التّقابل الذي من خلاله يمكن تحديد الفونيمات. لذلك نجده يدرس التّقابلات الصوتية بين الفونيمات إضافة إلى رصده لقواعد واضحة ودقيقة لتحليل الصوت داخل النّظام اللّغوي.

بناء على ما سبق، وعلى الرغم الاختلاف الزمني والمنهجي بين كل من الجاحظ و تروبتسكوي إلا أنّنا نجد الالتقاء و التقاطع في إدراكهما الواضح لأهمية الصوت ودوره في التّواصل كما نجد من جهة أخرى نقاط اختلاف تكمن في طريقة تحليل و دراسة الصوت. وهذا ما نوجزه في النقاط الأتية:

* أن دراسة الصوت عند الجاحظ لا تمثل الجانب النطقي فحسب، بل ترتكز على الجانب البلاغي والتواصلي.
* يربط الجاحظ الصوت بالذوق السمعي وتأثيره النفسي على المتلقي له.
* قدّم الجاحظ دراسة صوتية غنية من خلال دراسته لمخارج الحروف وفصاحة الصوت وعيوب النّطق.
* يمثل الصوت عند تروبتسكوي الوحدة الوظيفية داخل النسق أو النظام اللغوي أي دراسة الصوت وظيفيا.
* مثلت الدراسة الصوتية عند كل من الجاحظ وتروبتسكوي تكاملا من خلال الدمج بين الجانب الجمالي والجانب الوظيفي.

المصادر والمراجع:

-جني, ابن. (بلا تاريخ). *الخصائص*. لبنان: دار الهدى للنشر.
-ابن جني .(1993). *سر صناعة الإعراب*. دمشق :دار القلم.
-ابن خلدون , ع .ا .(1984). *تاريخ ابن خلدون*. بيروت :دار القلم.
-ابن سينا .(1983). *أسباب حدوث الحروف* (ط1) .دمشق :مطبوعات مجمع اللغة العربية.
-ابن فارس (بلا تاريخ) *معجم مقاييس اللغة* .ع .ا .هارون .بيروت :دار الجيل.
-ابن منظور .(2005). *لسان العرب*. بيروت :دار صادر.
-ابن يعيش(بلا تاريخ) *شرح المفصل* .القاهرة :مكتبة المتنبي.
-أبو عمرو الداني .(1960). *المحكم في نقط المصحف* .دمشق.

أبو حية النميري.(1975) .شعر أبي حية النميري. دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي

-أحمد مختار عمر .(1988) .*البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر* . القاهرة :دار علم الكتب.

-أحمد مختار عمر .(1991) .*دراسة في الصوت اللغوي* .القاهرة :عالم الكتب.

-الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر .(1998) .*البان والتبيين* .القاهرة :مكتبة الخانجي.

-الخليل بن أحمد .(1967) .*العين* .بغداد :مطبعة العاني.

-دوسوسير ,ف .(1985) .*دروس في اللسانيات العامة*) .ص .القرمادي تونس :دار العربية للكتاب.

-ر.هـ .روبانز. (1997) .(*موجز تاريخ علم اللغة في الغرب*) .أ .عوض. الكويت :عالم المعرفة.

-صباغ ,م .ع.(بلا تاريخ) *البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين* .بيروت :المكتبة العصرية.

-عبد الفتاح العليم البركاوي (2002) *مقدمة في أصوات العربية وفن الأداء القرآني* .القاهرة.

-عطاوي ,ا (1999.) *الفونيم والمورفيم. عند علماء مدرسة براغ تروبتسكوي ومارتيني أنموذجا.*

-علام ,ع .ا .(2009) .*علم الصوتيات* .الرياض :مكتبة الرشد.

-الغامدي ,م .م .(2001) .*الصوتيات العربية* .مكتبة التوبة.

- قدور ,أ .(2019) *مباديء اللسانيات* .مديرية الكتب والمطبوات الجامعية.

-كمال بشر .(2000) .*علم الأصوات* .القاهرة :دارغريب للطباعة.

-محمد محمود غالي .(1976) .*أئمة النحاة في التاريخ* .جدة :دار الشروق.

-محمود السعران.(1987) .*علم اللغة مقدمة للقاريء العربي* .بيروت :دار النهضة العربية.

-محمود جاد الرب .(1985) .*علم اللغة نشأته وتطوره* .مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.

-هلبش ,ج .(1970) .*تاريخ علم اللغة الحديث*) .س .ح .البحيري ,مصر :نيل وفرات.